

# قضية الأمة ومؤامرة التسوية

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية المناضلة

تأتي هذه المناسبة اليوم في ظرف قومي تمر فيه الأمة العربية بأمتحان تاريخي تنضج فيه تحولات مصيرية، تذكرونا بظروف نشأة الحزب، فنشعر أننا نعيشها، فالحركة الثورية الاصلية ميلادها لا ينتهي. فهي تولد من جديد مع كل ازمة عميقة ومع كل فرصة تاريخية للنضال الخلاق.

ان احياء ذكرى مولد البعث لا يذكر بالبهجة والافراح وإنما بالظروف العصيبة والالام القاسية التي كانت تعانيها أمتنا العربية من مشرق وطننا الى مغربه والتي دفعت جيلا من شباب العرب الى التفكير والتأمل للبحث عن طريق الخلاص.

ولدت الحزب في ظروف صعبة قاتمة، كانت الأمة العربية فيها مستعبدة ممزقة، تعاني أقطارها من وطاة الاحتلال الاجنبي وما يرافق الاحتلال والاستعمار من ضعف وتخلف وتجزئة ومن قمع وحشي لكل بادرة من بوادر الوعي والتحرر. ان الباعث العميق لظهور حركة البعث كان يكمن في ادراك التناقض الكبير بين أوضاع الأمة العربية: السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبين الامكانات الضخمة التي كانت تزخر بها الأمة ولا تستطيع التعبير عنها وتحققها في الواقع. ذلك لان قيادات تلك المرحلة كانت عاجزة عن إطلاق طاقات الجماهير وتعبئتها واعدادها لنضال منظم

---

(1) كلمة في السابع من نيسان عام ١٩٧٨، لمناسبة الذكرى الحادية والثلاثين لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.

طويل النفس، واضح الاهداف، يعبر عن روح الامة وضميرها، وعن الحاجات الحيوية لجماهيرها الشعبية الواسعة.

ونحن الان بعد مضي نحو خمس وثلاثين سنة على تلك الفترة وبعد ان جلا المستعمر عن معظم أجزاء الوطن العربي نتيجة نضال الشعب وثوراته المتلاحقة وبعد التقدم الذي أحرزه الشعب في مختلف أقطاره وعلى شتى الاصعدة، نجد أنفسنا مرة أخرى أمام التناقض الكبير الصارخ بين الواقع العربي الموسوم بالجمود والعجز، وبين الامكانيات الضخمة التي تزخر بها الامة والتي لاتجد سبيلها الى التحقق والتوحد، ذلك ان العمل الثوري خلال الحقبة السابقة لم يكن عميقاً وجذرياً الى الحد الذي تتطلبه أوضاع الامة العربية كيما يحدث التصحيح المطلوب. لان التصحيح المطلوب إحداثه بالعمل الثوري يجب ان يؤدي الى توفير القدرة الواضحة الحاسمة على تحرير الارض العربية من السرطان الصهيوني، وتحرير الوطن العربي من النفوذ الامبريالي والقضاء على كل ركائز الاستعمار والصهيونية في هذا الوطن، وذلك لا يكون الا بتحرير طاقات الجماهير العربية. ولئن لقيت الانجازات التقدمية على اختلافها، رضا من الجماهير فأنت كثيراً منها لم يلامس بعد أعماقها القومية الانسانية. وأهم تليل لهذه الظاهرة هو ان هذه الانجازات صنعت من فوق، هبة ومنحة، وقليلون هم القادة الذين توجهوا الى الجماهير الشعبية باعتبارها صاحبة الوطن وصاحبة القضية، وصاحبة الحق في النضال قبل الحق في ثمرات النضال. ان الجماهير اذا أعطيت منجزات لصالحها فانها تقبلها ولا ترفضها. اما إذا أستطاعت هي ان تحقق بنضالها هذه المنجزات فانها تصبح منجزات ثورية، لانها تحققت على أيدي جماهير مناضلة تعرف كيف تحميها وتدافع عنها. ان كون الثورة العربية في معظم أقطارها لم تصل بعد الى هذا العمق في التأثير، هو في آن واحد، مدعاة أسف، ودافع الى الامل والعمل.

نأسف لان اوقاتاً وفرصاً قد ضاعت على الامة العربية كان يمكن ان تسجل خطوات في التقدم نحو أهدافها ولكننا نشعر بالامل يملأ جوانحنا، ويحفز هممنا عندما نرى ان شيئاً كثيراً مازال ينتظر المناضلين الصادقين والقادة المبدعين المؤمنين

بالشعب . نشعر بالامل لان العجز الذي نشاهده ونعاني منه في الوضع العربي  
الراهن ، لا يدل على عجز في الامة وجماهيرها الشعبية بل يشير على العكس الى ان  
الامة وجماهيرها لم تشترك بعد ، أشتركا كليا في المعركة القومية ويتحمل مسؤولية  
ذلك أكثرية القادة والحركات التي تتكلم بأسم الامة والجماهير ولكنها لم ترد اولم  
تعرف بعد كيف يصل كلامها وعملها الى أعماق الامة وأعماق الجماهير .

وليس يعني هذا ان الامة والجماهير الشعبية لم تشارك بعد مشاركة كلية عميقة  
في أي عمل او انجاز ثوري ، تم حتى الان . ذلك ان الامة وجماهيرها كانت حاضرة  
ومشاركة الى الاعماق في ثورة الجزائر البطولية وفي تأميم عبدالناصر لشركة القناة  
وتحديه الاستعمار أثناء العدوان الثلاثي على مصر ، ثم في فرحة إعلان الوحدة بين  
سورية ومصر ، وايضا في ثورة ١٤ تموز في العراق التي قضت على أقوى ركيزة  
للاستعمار في المنطقة كما كانت الامة العربية وجماهيرها حاضرة ومشاركة أعمق  
الحضور والمشاركة يوم أمم العراق نفضه ، متحديا الشركات الاستعمارية ومفتتحاً  
عهداً جديداً من السياسة الوطنية الاستقلالية القائمة على الارادة الثورية الاقتحامية  
والتخطيط العلمي الثوري الدقيق .

وكانت الامة وجماهيرها حاضرة ومشاركة بقلبها وروحها وضميرها في كل عملية  
فدائية جريئة ، قدم فيها شباب عرب أرواحهم الطاهرة وأعمارهم النضرة فداء للمثل  
العليا وبدافع الحب للامة العربية والحرص على مستقبلها ، وكم مرة ساد فيها العجز  
والجمود ، وكاد اليأس يستولي على النفوس ، واذا العمل الفدائي يشق حجب اليأس  
والظلام ويمنح النور والامل كأنه وحي من السماء يذكر الشعب بقوته الكامنة ويذكر  
العدو بضعفه الاساسي وبالفرق بين الغاصب المعتدي وصاحب الحق المؤمن  
بحقه .

ان ما يجدر بالبعثيين وبالمناضلين العرب والجماهير الشعبية الكادحة ان يذكره  
وان يرسخ في وعيهم ، هو ان فترة العجز والارتداد والاستسلام ليست الا فترة مؤقتة  
عابرة ، ولا بد ان تنتهي وفي وقت قريب ، فهي ليست عامة شاملة ، بل تقتصر فقط  
على بعض الانظمة والحكام . وانها ليست الا استثناء للقاعدة التي هي نهوض الامة

العربية في مختلف أجزاء وطنها، ونضال جماهيرها الذي سجل أنتصارات تاريخية ضد قوى أستعمارية ورجعية شرسة .

### أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العربية العظيمة .

عندما لاح للامبريالية الاميركية وللكيان الصهيوني ان القوى العربية التقدمية قد ضعفت وتفككت بعد مؤامرة الانفصال على دولة الوحدة، وبعد مؤامرتي ١٨ تشرين و٢٣ شباط على حزب البعث في كل من العراق وسورية، أستدرجت عبدالناصر الى معركة مباغته، وأعتقدت ان هذه الضربة ستكون كافية لاختضاع الشعب العربي وتأسيسه، وجره الى الاعتراف بالامر الواقع، الذي هو: ضياع فلسطين والقبول بالتعايش مع الكيان الصهيوني المنتصر، المسيطر على المنطقة كلها بمساعدة الامبريالية الاميركية ومشاركتها، وكان الاعداء مطمئنين الى موقف الرجعية العربية متأكدين من مؤازرتها للمشروع الامبريالي الصهيوني ومن ألتقاء مصالحها معه .

ولكن مخطط الاعداء فوجيء بتفاعلات الهزيمة القومية مع روح الجماهير العربية الشعبية وقواها الثورية، فظهرت المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائي وقام مناضلو حزب البعث في العراق بالاستيلاء على السلطة من جديد، مزودين بتجربة قومية وحزبية غنية أنضجتها النكسات التي مرت على الامة والحزب .

وكان لابد من البحث عن طريق يضمن موافقة العرب على ما لم يستطع الاعداء فرضه عليهم بالقوة، فكانت حرب تشرين . ولكن القوة العربية التي فجرتها الحرب تجاوزت ما خططت له الامبريالية الاميركية والانظمة العربية المتواطئة معها في تدبير تلك الحرب تجاوزاً كبيراً لم يكن في حساب المخططين . ذلك ان أية قوة دولية عظمى، مهما تكن متفوقة في التخطيط والوسائل تبقى عاجزة عن حساب ما يمكن ان تبذره روح الجماهير وقواها الكامنة . فحرب تشرين التي دبرت كوسيلة حاذقة بارعة لتمرير التسوية، اي تصفية قضية فلسطين بالصلح مع العدو المغتصب ومفاوضته والاعتراف به، أصبحت عقبة في طريق هذه التسوية أكبر من عقبة هزيمة حزيران، هذه هي المفارقة الكبرى التي أوقعت الاعداء والعملاء في التخبط

والتناقض حتى الان . فالعدو الصهيوني بعد الهزيمة النسبية التي لحقت به ، تعرى أمام العالم كله ، وبان اصطناع كيانه ، وأنكشف مقتله ، وظهر أن وجوده بالذات وجود مؤقت ، ينتهي مع أول نصر عربي يأتي به المستقبل ، في ظروف وموازنات دولية ملائمة .

أمام هذه الحقائق التي هي ليست جديدة ، الا من حيث أنكشافها وأنتشارها أمام العدد الواسع ، لجأ العدو الصهيوني الى أساليب جديدة لا تغير شيئاً أساسياً في أستراتيجيته ، بل تخدمها وتعززها . ففي الوقت الذي أنكشفت فيه حقيقة الصهيونية على الصعيد الدولي ، كحركة عنصرية أستعمارية أستيطانية توسعية ، وأدينت بقرار من أعلى هيئة دولية ، يضع هذا الكيان على رأس الحكم لديه ، أكثر الفئات تطرفاً في عقيدتها الصهيونية العدوانية ، لاضفاء مظهر القوة والصلابة والتصميم على المضي في المشروع الصهيوني التوسعي بصورة أشد وأقوى من اي وقت مضى ، تشبثاً لثقة سكان الكيان الغاصب ولاحتياطيه في الخارج ، وضغطاً على الامبريالية الاميركية التي تعتبر الكيان الصهيوني قاعدة وقلعة وأداة فعالة لعدوانها ولنهبها ثروات الوطن العربي ، لكي تبقى هذه الامبريالية ملتزمة بالتحالف الستراتيجي مع الكيان الصهيوني فلا تتعد عنه في مساوماتها مع الانظمة العربية الرجعية العميلة ، والانظمة المتهاوية والمتهافئة (بسبب ضعفها) على التسوية الامريكية .

اما الانظمة المتواطئة مع الامبريالية الاميركية في تدبير حرب تشرين ، فقد أسقط في يدها ، لأنها بعد ان بالغت في حجم أنتصار تشرين ، أمست تنوء بعبء النصر الذي لم يكن في الحقيقة من صنعها ووقعت في الحرج والتناقض ، لان الروح التي خلقتها حرب تشرين تتنافى مع الروح الاستسلامية التي تحاول هذه الانظمة إشاعتها في أقطارها .

لقد كانت هذه الانظمة تطمح ان تجري التسوية من موقع المنتصر ، محاولة بذلك خداع الجماهير ولو الى حين ولكن حساباتها لم تأت متفقة مع حسابات العدو الصهيوني . فقد رد العدو عندما أوصل الفئات الصهيونية الارهابية الاكثر تطرفاً الى رأس الحكم في الكيان الصهيوني ، رد بمنطق المزايدة والمكابرة ، على النتائج

السلبية التي أفرزتها حرب تشرين بالنسبة اليه . فهو الان مضطر للتعامل مع العرب بمزيد من القوة والشراسة والغطرسة ، بل ان شرسته الان هي أشد منها في أعقاب حرب حزيران متجاهلا حرب تشرين وكأنها لم تحدث ، بل انه حاول خلال السنوات الاخيرة أن يعمل على إلغاء نتائج تلك الحرب ، بان أفتعل بواسطة عملائه وحلفائه الانعزاليين في لبنان حرباً أهلية مدمرة ، أراد منها القضاء على ما أثارته حرب تشرين في الجماهير العربية من أنتعاش وثقة بالنفس .

ان العدو الصهيوني هو الذي يرفض التسوية الان ، لانه يريد لها بشروط المنتصر . وهو يفتقد الشعور بالانتصار رغم أستسلام حكام التسوية . فالتسوية التي يقبل بها العدو هي التي تبدأ من ضعف العرب ومن تفرقهم ، لتزيدهم بأستمرار ضعفا على ضعف ، وتمزقاً فوق تمزق ، وهو لذلك يحتاج الى مزيد من الوقت يحاول فيه بالتعاون مع الامبريالية الاميركية والرجعية العربية ، والانظمة المستسلمة ، ان يضعف العرب ، ويفتت صفوفهم ، ويشغلهم بالفتن الداخلية والخلافات الثانوية .

#### أيها الرفاق المناضلون

#### يا جماهير أمتنا العظيمة

اننا نرى الواقع العربي بكل أمراضه ، ولكننا نرى فيه ايضا عوامل القوة والامل ، نحكم عليه حكماً ثورياً حاسماً ، ولكننا نثق أعمق الثقة بأن مستقبلاً مشرقاً سيولد منه . نأسف لهذا الواقع ونتألم ونغضب ولكننا لانستغرب ، ولا نحار ، فأسبابه واضحة لدينا ونؤمن انه تأهب لقفزة جديدة الى أمام ، لاعلامه ردة وترد ، وطبيعي ان يظهر من يرى في هذا التوقف المؤقت ، فرصته للاستغلال والتمتع بالسلطة ، ولو بالتضحية بمصلحة الشعب ، ومستقبل الامة ، وحتى عن طريق التآمر والخيانة .

لقد عين الاستعمار للحكام العرب المماليئين له ، وللطبقة الطفيلية المحيطة بهم ، ادوارهم ، ولكن منطق الثورة عين لهم أدواراً اخرى : بأن يكونوا بخيانتهم وتواطئهم واستسلامهم ، مهمازاً يحرك الوعي وينضجه ويثير النخوة والغضب ، ويعجّل في تفجير ثورة الشعب من جديد . ان الجماهير لا يمكن ان تقبل او تصدق ، ان تكون مصر العربية رائدة النهضة الحديثة منذ قرنين من الزمن ، وحاملة أعباء

النضال ضد الاستعمار والاحتلال الاجنبي ، هي التي تطلب اليوم من العرب ان يصلحوا العدو المغتصب ويسلموا بشروطه . ولا يمكن ان تقبل وتصدق ان تسالم مصر العربية الصهاينة المحتلين وان تنتكر لقضية فلسطين وهي التي قدمت في سبيلها في الماضي البعيد وفي الماضي القريب ، مئات ألوف الشهداء ، لكي تبقى الارض العربية مطهرة لا يدينسها غاصب ولا يقيم عليها محتل .

لقد أختار السادات لنفسه ان يكون منفذ الردة والاداة الاولى للرجعية العربية والامبريالية في المنطقة ، فأرتمى هو والطبقة الطفيلية المستفيدة من حكمه ، في أحضان الامبريالية الاميركية ، جاعلا أياها ، بقرار شخصي منه ، طرفاً حيادياً بل صديقاً ، متجاهلاً نزعها الى الاستغلال والسيطرة وأطماعها في موقع الاقطار العربية وثرواتها ، وتحالفها الاستراتيجي مع الكيان الصهيوني ، ومصالحها في إبقائه أداة عدوان على الاقطار العربية وعامل تهديد وإضعاف لها ، ليمنع وحدتها ، ويعطل نهضتها . كذلك ، وكتيجة منطقية لارتباطه بالامبريالية ، وبقرار شخصي منه ، أعتبر السادات عندما زار الارض المحتلة ان الكيان الصهيوني قد غير طبيعته العنصرية العدوانية التوسعية ولم يعد الاداة والقاعدة الرئيسية للامبريالية في المنطقة العربية ، وأنه أصبح كياناً مسالماً ، وهو المزود بالسلاح الى حد التخمة ، يكرر عدوانه على الاقطار العربية ويوسع رقعة أغتصابه ، وينشر القتل والدمار في أرضنا وبين أهلنا . وعندما فوجيء السادات بأستنكار الأمة العربية كلها لفعلته المهينة لم يجد مهرباً الا ان يحاول عزل مصر عن جو الشعور العربي ، وان يخرجها من مسيرة النضال العربي .

ولكن الجماهير العربية ستبقى تتطلع الى مصر ، رائدة النهضة واثقة ان سحابة التشويه والتزوير لا بد ان تنقشع ، وان هذه التجارب المريرة ستعجل في تعميق أنصهار مصر وشعبها في تيار المصير العربي ، لتعود الى مركزها الطبيعي في حركة الثورة العربية ، ويتطابق دورها الذاتي الواعي الارادي مع دورها الموضوعي ، بأعتبرها الثقل العربي البشري والحضاري الاكبر والافعل . ان حاكم مصر يستطيع ان ينفرد في اتخاذ الموقف ويكون مطمئنا الى تأييد الجماهير العربية ودعمها له ، اذا

كان الموقف الذي يتخذه، موقفاً ثورياً متجاوباً مع أعماق الضمير العربي الشعبي .  
ولكن حاكم مصر لا يستطيع ان يتخذ موقف التخاذل والتفريط والخيانة، ويضع  
العرب امام الامر الواقع، حتى ولو كان يعتمد ضمناً على تأييد الانظمة الرجعية  
العميلة أو سكوتها، لان موقفه هذا يصطدم مع ضمير الجماهير العربية ويثير سخطها  
واستنكارها، ويتعرض للمقاومة العنيفة الثابتة .

### أيها الرفاق المناضلون

#### يا جماهير أمتنا المناضلة

ليس وضع سورية بأقل خطورة من وضع مصر، من حيث نتائجه وأنعكاساته  
على القضية القومية . بل ان بين الوضعين تماثلاً وتجاوباً حتى بالرغم من مظهر  
التباعد والتخاصم في بعض الاحيان . لان كل واحد من هذين النظامين بحاجة  
حيوية الى وجود الاخر ومساندته، فالنظام الذي يتكلم بأسم سورية يعطي بأسم  
القطر الذي ولد فيه الوعي القومي العربي الحديث الشرعية القومية والغطاء العربي  
للتفريط المنوط بالنظام المصري ان يقدم عليه، كما ان النظام الذي يتكلم بأسم  
مصر، الثقل العربي الاكبر والاهم، يمنح النظام السوري الدعم والجرأة في إعلان  
مالم يألف شعب سوريا سماعه من حاكم، في قبول الصلح مع العدو الصهيوني .  
وطبيعي ان يختار لهذه المهمة نظامان ضعيفان، ليس لهما جذور شعبية ووطنية .  
ان أنظمة التسوية تريد ان تدخل في روع الجماهير العربية خدعتين، الاولى :  
ان الامة العربية لاتملك في الوقت الراهن، القوة التي تمكنها من الصمود أمام العدو  
الصهيوني المدعوم بقوة الامبريالية الاميركية، والثانية : ان هذه التسوية ليست الا  
هدنة يستكمل العرب خلالها أسباب قوتهم وشروط إعداد أنفسهم لمعركة التحرير .  
والحقيقة ان القوة العربية الراهنة لاتقصر عن الصمود للعدو، الا بسبب وجود أنظمة  
التسوية المتخاذلة ومن ورائها الانظمة الرجعية العميلة التي تزعم الردة في البلاد  
العربية منذ هزيمة حزيران وتبني - بشكل مغطى - مشروع التسوية الاستسلامية  
والتي تتنازل كل عام عن المليارات من أموال الشعب، للامبريالية الاميركية مقابل ان  
تضمن لها هذه الامبريالية بقاءها في الحكم . وأما الحقيقة الثانية : فهي ان التسوية



لن تكون في حال من الاحوال هدنة لاستكمال القوة، ولا أمانة للتحرير تركها هذه الانظمة لتنجزها الاجيال القادمة .

ان مقدمات التسوية تدل على ان المطلوب منها - فيما لونجحت - ان تعيد ترتيب الاوضاع العربية لمصلحة الانظمة والطبقات الرجعية، وتخلق جواً من الارهاب والقمع والانكماش والتعصب الاقليمي، وتهدف الى «حاصرة الانظمة والحركات التقدمية ومحاربتها وتصفية المقاومة الفلسطينية وإشاعة الفساد والميوعة وروح الاستسلام، اي ان المطلوب ليس ان توكل مهمة التحرير الى الاجيال العربية القادمة - كما يدعون - بل قتل الروح التي يمكن ان تخلق مثل هذه الاجيال . ان أنظمة التسوية والانظمة الرجعية العربية التي وراءها، هي أكثر من استسلامية لاكتفي بالخضوع للعدو، بل تسعى الى تشكيل حلف مع الامبريالية والصهيونية، له استراتيجية هجومية شاملة للوطن العربي كله . وقد تتعداه الى بلدان العالم الثالث لضرب كل بؤرة للثورة والتحرير يمكن ان تنتقل عدواها الى أقطارها .

ان التصرف بالقضية الفلسطينية اي بالقضية المركزية للامة العربية والتي تتعلق بمصيرها ذاته، هو من حق هذه الامة وحدها . اي من حق الملايين من جماهيرها الشعبية الكادحة من أقصى الوطن العربي الى أقصاه، هذه الجماهير الاصيلة المناضلة الوفية لتراث أمتها المجيدة، والحريصة على ان يكون للامة مستقبل عظيم مشرق في مستوى ماضيها العريق، حتى المقاومة الفلسطينية، التي هي من أبرز عناوين صمود هذه الامة، وأستبسالها في الدفاع عن وجودها، فانها ليست الاجزاء من الامة وطلائعها الثورية ولا تملك حق التصرف في قضية، هي قضية المصير العربي كله . فمن هم الذين يتصرفون اليوم بهذه القضية، ويقدمون على الصلح مع العدو، وعلى الاعتراف له بشرعية اغتصابه لفلسطين؟ وماذا تمثل هذه الانظمة وهؤلاء الحكام؟ هل يمثلون تراث الامة وعراقتها وأصالتها وتمسكها بحقها؟ هل يمثلون الجماهير الواسعة التي تكدح، وتزرع الارض وتبني المدن وتحارب، وتقدم دماءها من أجل أرض الوطن؟ أم أنهم يمثلون الطبقات المستغلة المنحلة التي أنقطعت صلتها بالارض وبالشعب وبالتراث، ولم تعد تعرف الا مصالحها الجشعة؟

أليست الرجعية العربية هي القائدة والمديرة لمؤامرة التسوية؟ أليست مدفوعة بالحرص على أموالها، التي هي أموال الشعب العربي وسلطانها المدعوم بقوة الاجنبي؟ اولم تجد فرصتها الذهبية في هزيمة الامة وهي تعمل منذ ذلك الحين لارجاع سيطرة الامبريالية، وتمكين اغتصاب العدو الصهيوني ليتوفر المناخ الذي تستطيع فيه ان تتنفس وتعيش وتستمتع دون ان يهددها خطر من الشعب المطالب بحقه والمدافع عن كرامته؟ .

### أيها الرفاق المناضلون

#### يا جماهير أمتنا العربية المناضلة

ان فترة الخمسينات التي حقق خلالها المد الشعبي الثوري أنتصاراته التاريخية كانت فترة وضوح في الرؤية وأستقرار في الوعي . اما فترة النكسات والتراجعات فطابعها أمتزاز الرؤية واضطراب الوعي وتخلخله ، فالعدو صديق والصديق عدو، والنصر نصف نصر، والهزيمة نصف هزيمة . والتسوية تسويتان : رجعية وتقدمية . وهذا كله يسهم في زيادة الغموض والبلبله، وفي أستنزاف حيوية الجماهير وزعزعة يقينها .

ان أنقاذ مستقبل النضال العربي الثوري يستوجب العودة الى الرؤية الواضحة والخط الثوري السليم ، لكي لا تبقى قضيتنا المصرية التي فيها بقاؤنا اوفناؤنا كأمة ، مرتهنة للدول الاجنبية - المعادية لنا والصديقة المحالفة - ينوبون عنا في وضع الحلول لها . فالحل الثوري الكامل الواضح هو الذي يضعنا في صف الجماهير العربية المناضلة لاسقاط التسوية الاستعمارية ، لان هذه التسوية هي أستمرار لمؤامرات الاستعمار على وجودنا وعلى ارضنا وخيراتنا . كما انه يضعنا بالنسبة الى اصدقائنا وحلفائنا على صعيد الاستقلالية والارادة الحرة .

ان القضية العربية التي تلخصها قضية فلسطين ، هي قضية هذا العصر، ولكن ثورتها لم تصبح بعد ثورة العصر، لان النضال العربي لم يرق بعد الى مستوى قضيته وهذه هي مهمة الشعب العربي وجماهيره المناضلة، وطلائعه الثورية . هذه المهمة التي يجب ان لاتوكلها الى أحد، ولا تتنازل عنها لاحد، انها الامتحان التاريخي

لجدارة الامة العربية ، وهي المراهنة الصعبة التي يطلب فيها الارتقاء الشاق المضني بالنضال العربي الشعبي الى مستوى الرسالة الانسانية ، كما يطلب منها تصحيح مفاهيم الحق والعدل في السياسة الدولية ، وبث روح جديدة في النضال الاشتراكي العالمي الذي تكاد السياسة الواقعية ، ومجاراة الامر الواقع تطفئ جذوته المبدعة وتفضي به الى مواقع الدفاع والمحافظة ، وتفقد المبادرة التاريخية التي هي امل الشعوب في خلق انسانية تقدمية .

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا العظيمة

اننا ورثة حضارة من أعظم حضارات العالم ، وان ملهفات الماضي وتحديات الحاضر تدفعنا الى احياء دورنا الحضاري ، وتشدنا الى العلم والمعرفة ، والى بناء المجتمع بناء حديثا ، ولكننا ندرك ان قدرنا في مرحلة الانبعاث ، هو ان نشد الحضارة من خلال الدفاع عن بقائنا ، وان نبني المجتمع الحديث في جو الثورة والنضال .

ان السلام غايتنا ، ولكنها غاية بعيدة ، لن نبلغها الا بعد ان نرد العدوان ، ونزيل الظلام ، ونحق الحق لان سلامنا هو السلام الحقيقي الثابت الوطيد لنا ولجميع الشعوب المعتدى عليها ، الضعيفة المستغلة لانه سيكون إنهاء للسيطرة الاستعمارية ، وبداية للسلم العالمي .

اما سلام الاعداء فليس الا خدعة تخبيء لنا الحرب الغادرة والعدوان الوحشي ، والمذلة والفقر والدمار . . . ورفضنا له لا يعني اننا نرفض السلام او اننا ضد الحضارة وانما يعني اننا نرفض العدوان علينا وأغتصاب أرضنا . . . وتقتيل وتشريد شعبنا ونهب ثروات وطننا وفرض التجزئة على كياننا القومي ، والتخلف والفساد على مجتمعنا العربي .

ان تطلعنا الى السلام ، والى احياء دورنا الحضاري يفرض علينا ان نستعد لرد العدوان وأن نخوض معركة التحرير ، فمعركتنا دفاعية مشروعة وهي ثورة انسانية بناءة ، نؤدي فيها الامتحان الصعب لشعورنا بأنسانيتنا ودفاعنا عن كرامتنا ، وقدرتنا

على تجاوز عوامل التخلف، ومجازاة عصر العلم، ووعينا لدورنا الحضاري ومسؤوليتنا تجاه مستقبل العالم. وعندما نرفض ان نواجه قدرنا مواجهة صريحة شجاعة ونتهرب من المعركة، فاننا عندها نرفض السلام الحقيقي ونرفض احياء دورنا الحضاري، ونتيح للعدو فرصة لكي يشغلنا بمعارك داخلية تستنزف حيويتنا وطاقاتنا، وتزرع الاحقاد بين صفوفنا كما جرى في لبنان على امتداد سنتين. ولكن كان مفهوما ان تقترن النظرة الحضارية بالحرص على السلام بين الدول القوية المتقدمة التي تعبت من حروب التنافس على السيطرة ومناطق النفوذ، فليس الامر كذلك بالنسبة الى الشعوب المعتدى على سيادتها وأرضها وحريتها وثرواتها، والتي ليس امامها سوى النضال والقتال، ودفن الثمن الذي تدفعه الامم الحية للمحافظة على بقائها والدفاع عن شخصيتها وقيمها الحضارية. فنحن مكرهون على المواجهة ودخول المعركة، لاننا ندافع بواسطتها عن وجودنا ومصيرنا، لذلك فحربنا جد مختلفة عن حروبهم، وسلامنا جد مختلف عن سلامهم. ان السلام الذي تدعوا اليه الدول الكبرى او الدول القوية المتقدمة، هو سلام القوي الذي يفرض شروطه، وليس سلام الضعيف الذي يستجدي الرحمة من هنا وهناك. وكما ان الحضارة ملازمة دوما للقوة المدافعة عن الحق وللاقدام المنتصر له، فان الحضارة تبدأ بالتفسخ عندما تضعف هذه الصفات او تفتقد.

ان لامة العربية وضعا خاصا متميزا، يتيح لها شروطا قلما تتوافر لغيرها. . فهي في الوقت الذي تخوض فيه معارك تحرير أرضها، وأسترداد ثرواتها، وتوحيد أجزائها، تضع وتبني مفاهيم جديدة للقوة والسلم والعدل كأساس لحضارة جديدة. ولكن هل تعني هذه المواجهة الصريحة الواضحة لحقيقة ظروفنا وقدرنا، ولما يمكن ان ينتظرنا في مستقبل قريب ان نركب الحماسة ونستعجل الامور ونرتجل الخطط في قضية المصير؟ ان الشعب العربي قد تجاوز منذ زمن هذا الطور وأصبح ينظر الى المعركة من كل وجوها، ويعرف انها بناء صبور وتقدم في العلم والثقافة والفن، وتسابق في ميادين الصناعة والانتاج والاختراع، مثلما هي قتال وتضحية وفداء.

من واجبتنا أن نعرف من هم اعداؤنا، وماذا يبيتون لنا، فنستعد للدفاع عن

بقائنا، ولكننا اصدقاء جميع الشعوب نفتح على الانسانية كلها، وتجاوز ونتفاعل ونحن واثقون بأن في ذلك خيراً لنا وتعريفاً بحقناً، وتعجيلاً في أنتصاره. ليس تمسكنا بحقنا وحرصنا على ارضنا واستقلالنا وتحقيق نهضتنا، واستعدادنا للقتال في سبيل ذلك ليتعارض مع استعدادنا الصادق للتعارف والتعاون. ان في الشعب العربي توقاً عميقاً واصيلاً الى الاخاء الانساني، ولكن من موقع المنعة والعزة والكرامة. الغرب الاوربي يعرف حقنا ولا يجهله، ويعرف العدوان علينا وهو الذي خلق هذا الوضع العدواني في الماضي، وهو مازال يشارك في دعمه صراحة حيناً وحيناً، في الخفاء والرياء، حضارته بلغت السن المتعبة التي ترى الحق ولا تجد في نفسها القدرة على الاعتراف به والانتصار له، بل تغلبها مصلحتها المادية وتجبب اليها الراحة والسهولة. ان بين نظرتنا ونظرة هذا الغرب فارقاً كبيراً لاسبيل الى ردمه وتجاوزه في مستقبل قريب، ولكن هذا لن يمنعنا من التعامل والتفاعل مع شعوب الغرب، وبيننا وبينها أكثر من صلة حضارية خلال قرون عديدة من التاريخ.

اما صلتنا كعرب بالدول والشعوب الاشتراكية، فهي على حدائث عهدنا، أقرب وأوثق، بالرغم من انه لا يزال ثمة فارق بين نظرتها الى قضيتنا المصرية فلسطين، ولكننا أكثر ميلاً الى التفاؤل بتطور موقف هذه الدول والشعوب في المستقبل باتجاه تغليب السياسة المبدئية على السياسة الواقعية، كما اننا متفائلون واثقون بأن المستقبل هو للفكرة الاشتراكية وللشعوب التي تؤمن بها، رغم التهويش الذي تنشره الصهيونية ومفكرو النظام الرأسمالي حول البلدان الاشتراكية. اننا نشعر بالتضامن مع هذه الشعوب. ومع شعوب العالم الثالث في قارات آسيا وأفريقية وأميركا اللاتينية التي تخوض معنا معركة تصفية القلاع الاخيرة للنظام الرأسمالي الاستعماري الفاسد الظالم، وتربطنا بها تجارب ومعاناة ثورية مشتركة، ونؤمن ان الانسانية الجديدة التقدمية ستولد من هذا التضامن المصري.

أيها الرفاق المناضلون

يا جماهير أمتنا المناضلة

ان حزب البعث العربي الاشتراكي هو لكل العرب، صمم كذلك منذ أن كان

مجرد فكرة، ولكن التجزئة المفروضة على الوطن العربي، حتمت ان يبدأ العمل الثوري الوجدوي من بعض الاقطار المهمة أكثر من بعضها الاخر، لمثل هذا العمل وكانت سورية أكثر الاقطار أستعدادا لان ينشأ فيها البعث، ويقطع أشواطاً واسعة على طريق النضال الفكري والسياسي أثمرت في أواخر الخمسينات أنجازا تاريخيا هو وحدة سورية ومصر. ولكن هذا الانجاز الذي كان نصراً كبيراً لحزب البعث ولمبادئه، كان في الوقت نفسه نهاية لصعود مسيرة الحزب في سورية، وبداية التفكك والضعف. ذلك ان تجربة الوحدة فشلت نتيجة عوامل عديدة، منها، انه لم يسمح للحزب ان يشارك في توجيهها والاشراف على تطبيقها، ومع الانفصال تركز التآمر الاستعماري والصهيوني الرجعي على سورية وحزب البعث، وهما في أقصى حالات الضعف والتفكك، مما ادى الى ما نشاهده منذ سنوات والى اليوم من مفارقات عجيبة، وأرتكابات تتم بأسم سورية وباسم حزب البعث وسورية وحزب البعث منها بريثان.

ان فكرة الحزب القومية ضمنت له ان ينتشر في أكثر من قطر عربي، وهذا ما شكل له حماية وقوة. وكان الحزب في العراق قد نشأ نشأة صحية قوية تحمل بذور الصدق والجدية والروح النضالية العالية. فلم تمض سنوات على نشوئه، حتى أصبح له ثقل خاص ورأي حاسم في تطور الحزب القومي، وفي ما حققه من انتصارات، وما واجهه من أزمات وكان يقف دوماً مع الخط التاريخي للحزب، خط العقيدة القومية الثورية، مع المواقف المبدئية الثورية التي تتطلب التجرد والنفس الطويل في وجه النزعات الاصلاحية والانتهازية، والميول القطرية والوصولية، مع العقيدة الوجدوية في وجه الذين تراجعوا عنها، او شككوا فيها نتيجة التطبيق المشوه لوحدة عام ١٩٥٨، مع العقيدة القومية ضد الذين حاولوا ان يحجبوها ويطمسوها ويقيموا تناقضاً بينها وبين الاشتراكية فيقضوا هكذا على أهم ما تميز به الحزب عندما قرن القومية بالاشتراكية.

هكذا حمل الحزب في العراق، الامانة بحق وجدارة وكانت أستعداته للسلطة في ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ اي بعد اقل من خمس سنوات من الردة السوداء في

١٨ تشرين عام ١٩٦٣ ، وبعد عامين من مؤامرة ٢٣ شباط عام ١٩٦٦ عملاً فيه الاقدام والحكمة ومستوى من النضج جديد . وخالط البعثيين وأصدقاءهم شعور هو مزيج من الامل الكبير والحذر من تجربة السلطة بعد الذي عانوه من الاخطاء التي رافقت ثورة رمضان العظيمة ، ومن مرارة تجربة الحكم في سورية حيث كانت سمعة الحزب ، تتردى هناك ، ولم تعد الجماهير الشعبية تستبين ملامح البعث في ذلك الحكم ، والبعثيون أنفسهم أنكروا ان يكون ذلك هو حزبهم .

وسارت ثورة ١٧ / ٣٠ تموز في طريقها الصعبة باتتاد وأتزان ، تحمل آمال الحزب والشعب ، ومخاوفها من ان تتكرر الاخطاء والنكسات . ولكنها كانت تحمل ايضا مبادئ البعث تمدها بالقوة والمنعة لمواجهة المسؤوليات القومية في أخطر فترة تمر بها الامة العربية وأصبح كل يوم يمر على التجربة يكشف جانباً من صدقها وصدق انتماؤها الى البعث وتجسيدها لمبادئه ويقربها أكثر فأكثر من قلوب المناضلين والجماهير العربية .

ان تاريخ الحزب على أمتداد مسيرته الطويلة التي أتت بالنجاحات والانتصارات ، كما تخللتها العثرات والنكسات قد حمل دوماً قرائن الصدق مع النفس والقضية . لانه عاش في مثول دائم أمام تاريخ الامة يستلهمه ويطلب حكمه ، ولا يطلب الحكم الا منه . لذلك فضل الحزب في فترات حاسمة من تاريخ نضاله ان يدخل مناظله السجون ويشردوا في المنافي على ان يتساهل ويتنازل في أمور عقيدته ، اه ان تدفعه شهوة الحكم الى عمل ما يخالف هذه العقيدة . هذا هو الارث الايجابي الذي تتابعه تجربة حزبنا في العراق لتغنيه وتزيده اشراقاً .

ان ثلاثين عاماً من النضال مرت على الحزب لاتعتبر كثيرة ما دامت قد أوصلت الى هذه التجربة الممتلئة عزمًا وعافية ، والتي هي بداية سليمة على الطريق الطويلة لتحقيق وحدة الامة العربية ولتحرير ارضها وارادتها وطاقات جماهيرها الكادحة المبدعة ، فالبداية السليمة هي وحدها القادرة على الوصول الى الغاية .

نحن بحاجة دوما الى الرؤية الثورية المؤمنة بحق الامة العربية في الحياة وبقدرة الشعب العربي على تحقيق أهداف الامة . نحتاج الى النفس الطويل ، لان قضيتنا

القومية قد تتطلب أجيالاً تتعاقب لتكمل الرسالة، ولكن واجبنا ان نسلم الاجيال التي تاتي بعدنا أرثا ايجابيا من الصمود والاباء، ومن الانجازات والانتصارات.

### أيها الرفاق المناضلون

#### يا جماهير أمتنا العربية العظيمة

ان مما يعزز الايمان بقدرة الجماهير العربية الشعبية على الاضطلاع بأعباء الثورة العربية ومهماتنا التاريخية هو ما نشاهده من روح الصمود والاستبسال عند المقاومة الفلسطينية وأبناء الشعب الكادح في جنوب لبنان في تصديهم للغزو الصهيوني وأسلحته المدمرة، وأساليبه الوحشية. اذ نجح مئات من المقاومين والمقاتلين في أفشال مرامي حملة العدو وأرباك جيشه رغم الحصار المضروب على المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية من مختلف القوى المعادية والمتواطئة. وكان أنجاد العراق للمقاتلين، وتخطيه شتى المصاعب والمعوقات بارقة نور مشرقة وسط ظلام التآمر والتخاذل.

ومما يعزز الايمان ايضا بروح الامة وجماهيرها الكادحة، ما شاهدناه قبل أشهر، من أنتفاضة شعبية عارمة في القطر التونسي حملت معاني كثيرة توحى بالامل والعبارة ولا يمكن ان نجردها من معنى التجاوب والتضامن مع نضال الجماهير الشعبية في أقطار المشرق العربي ضد التسوية والتفريط بقضية فلسطين، وتحدياً للانظمة الرجعية والليبرالية الاقليمية المتواطئة بشكل او بآخر مع القوى الامبريالية والصهيونية، والتي لا تبدي اهتماماً بشؤون المشرق العربي الا من أجل تسهيل مهمة أعداء الامة لتمرير مؤامرة التسوية والصلح مع العدو الصهيوني بينما تمنع اي اتصال وتفاعل جماهيري بين أقطار المغرب والمشرق، وتقيم سداً عازلاً بين جناحي الوطن العربي، وكذلك ما قامت به الجماهير الشعبية في مصر في العام الفائت من انتفاضة شاملة جارفة ضد حكم السادات والطبقة المستغلة الفاسدة التي تحكم من ورائه، ان دلَّ على شيء فانما يدل على ان الحاكم الذي يثور الشعب عليه، يمثل هذه القوة وهذا الشمول، لا يحق له ان يتكلم بأسم مصر وشعبها، وبخاصة في أمر بخطورة أمر الصلح مع العدو والتفريط بقضية فلسطين.



ان العبرة الايجابية التي تستخلص من هذه الظواهر هي ان الجماهير العربية الكادحة لا تقصر في مكان ولا تبخل بعطاء من اجل أحباط المؤامرة على مصير الامة العربية وأهدافها الكبرى . ولكن ثمة عبرة سلبية لا يجوز ان نتجاهلها، وهي ان هذه الانتفاضات الشعبية تترك وحيدة في مواجهة قوى عاتية مدعومة من الامبريالية وبالتالي فإن وحدة النضال بين الجماهير العربية في مختلف أقطارها، أصبحت هي المطلب الثوري الاول .

النضال يكشف عن الجوهر الانساني للامة العربية، بينما يفضح طبيعة العدوان والاجرام عند أعدائها . يوحدنا ويفرقهم، يغنيننا ويفقرهم، يدفعنا في طريق الرقي والحضارة، ويدفعهم الى الاعمال الهمجية ويكشف عن عنصريتهم يضعنا في قلب الحداثة والعصر، ويلقيهم في عزلة العقائد المتحجرة . شعارنا للمستقبل يجب ان يكون : إزالة التناقض بين حقيقة الامة وواقعها الراهن، بين قضية الامة ومؤامرة التسوية . توحيد طاقات الامة وتحريرها وإعادة وحدة النضال العربي الى طريقها الصاعدة المتفجرة . . تعميق الطابع الانساني الحضاري لنهضتنا المعاصرة . .

شعارنا للمستقبل يجب ان يكون : الثورة العربية ستكون ثورة الانسانية الجديدة .

تحية الى شهداء حزبنا، والى شهداء الامة العربية الابرار .

تحية الى المناضلين العرب الذين يربضون في المعتقلات والسجون دفاعاً عن المبادئ والقيم النضالية .

تحية للبطولات الفذة التي تتفجر في الارض المحتلة وعلى الساحة العربية، وتفتح أبواب المستقبل المشرق .

تحية للقوى الصامدة في وجه مؤامرات الاستسلام، العاملة على تحقيق وحدة النضال القومي، وتفجير طاقات شعبنا العربي .

تحية للشعوب الصديقة، والقوى المؤازرة للحق العربي، المشاركة معنا في نصرة القضية العربية .